الفصل الثالث
مسرحية
العيشة واللي عايشينها

المشهد الأول

يظهر طالب على خشبة المسرح وهو يقول :

أنا طالب...

زى أي طالب.

حياتي روتينية جداً .

لا مؤاخذة.. (سرمحة)...كوره..سهر..أغاني.. أفلام.إلخ إلخ...عشان كده كل زمايلى بيعتبرونى طالب مثالي..أو على الأقل طالب طبيعي.

(صوت من الخارج في استفهام)...طب والمذاكرة؟.

الطالب : تقصدوا العلم..

أنا وزمايلى مجموعة من الطلبة المثاليين.. بنعتبر العلم دخيل على حياتنا.. ضيف تقيل حبتين ما يصحش يقعد عندنا كثير.

أنا ما انكرش أن بعض الطلبة بيغلطوا أحيانا غلطات سخيفة ويذاكروا.

بس دول إحنا بنعتبرهم..قلة منحرفة..وخارجين عن قانون الطلبة.

(صوت من الخارج): يا سلام على الحكم.

يكمل الطالب: بيتنا بيت عادى.. شعارنا "التفكير ضار جدا بالصحة). ويسبب الوفاة.

أبويا كان دايماً يقوللى.. إن أنا وأنا صغير.وقعت من فوق الزير على دماغي في الفسحاية في بيت ستي.

(صوت خارجي..باستهزاء) يا حرام.

obeikandl.com

الطالب: أنا شامم في الكلام ريحة تريقة.

(صوت خارجي) هو الصوت بيتشم يا غبى..

الطالب:أيوه.. الدكتور قال لأبويا كده لما كشف على..

قاله : يا بوعدنان ابنك حزنان هيفضل غبي طول عمره..

الغريب أني مش فاكر أبدا أن أنا كان لي أخ اسمه عدنان..

المهم..الدكتور كمل لأبويا وقال له.:ابنك هيفضل طول السنة غبي قفل..في عداوة مستمرة مع التفكير إلا في يوم واحد في السنة كلها.

بعيد عن السامعين .. اليوم الوحيد إلي بتشتغل فيه صواميل عقلي وبفكر.. البيت بيتقلب.

صوت من الخارج.

الأم : الحق يابو حزنان الواد عنده فكر.

الأب: اتصلي بالدكتور بسرعة ياولية .. قوليله الحالة جاتله.

الطالب: في اليوم ده .. إن أنا فكرت فعلا .. يومها حسيت إن دماغي بتسخن .. وعيني بتطلع لبره..وشعر راسي بيقف..

وطلع أول سؤال من دماغي .

يا ترى..احنا عايشين ليه..

يا ترى ربنا خلقنا ليه..

معقول يكون اتخلقنا عشان ندخل المدرسة ولو سألنا..يقولك الولاد كلهم بيدخلوا المدرسة.. يبقى لازم تدخل المدرسة..وبعدين تطلع عنينا ندور على شغل عشان نجيب فلوس .. ليه عشان تتجوز وتفتح بيت..واللي أمه داعايله وربنا راضى عنه يتجوز عشان يتشحطط بالمرة والعيال ويقعد في الهم دهلحد ما يموت..ويفضل طول حياته زى لا مؤاخذه الدروبش مشعارف هو عمل كده ليه.

ويفضل السؤال..

obeikandl.com

احنا عايشين عشان نعمل إيه...

يمر طالب من جانبه يحمل جهاز تسجيل ويتمايل مع سماع الأغاني ويقول وهو يضحك بصوت على:

يا بني عيش حياتك..احنا جايين الدنيا عشان نفرفرش ونتمتع.

يمر آخر من ورائه ويظهر عليه الحزن والكآبة قائلا :

يا بنى إحنا جايين الدنيا عشان نتعذب فيها.

يمر ثالث من أمامه وهو يحمل كتابا في يده :

العلم حياتنا وهدفنا والشهرة والمجد طريقنا.

يمر رابع من ورائه وقد بدا عليه اليأس :

جايين الدنيا لا عارفين ليه ولا رايحين فين.

الطالب في تأثر :

ياه .. شافين الحيرة أد إيه..كل واحد برأي..وكل واحد بطريق.

وأنا احترت أكتر من الأول...وأنا شايف الحيرة في عيونكم أكبر وأكبر..

يا ترى مين يقدر يجاوبنا على السؤال..

بقولكوا إيه تيجوا نجرب المرض اللي بيجيلى ساعات..

ونفكر شويه..

صحيح هنتعب حبتين..

بس يمكن نوصل لإجابة السؤال..

صوت خارجي: في زماننا ده التفكير مرض مالوش حل..

صوت آخر: وافرض حصل لنا حاجة وحشة من كتر التفكير.. هتنفعنا أنت.

صوت ثالث: يا سيدي..فكرنا ولومافكرناش.. ما كله محصل بعضه.

obeikandl.com

أوعدكو أن انا ماتقلش عليكو..

يدوبك..وقت حصتين ألعاب..أو ماتش كورة..أو فيلم أكشن..

صوت خارجي جماعي:

ييه..باين الحالة اللي بتجيلك دى صعبة أوى..يلا وخلصنا..

أشكركم يا جماعة..يلا بينا نفكر في السؤال .

احنا عايشين ليه.

ويغلق الستار.

*****

المشهد الثاني

يظهر طالب يجلس على كرسي ملك ويرتدى زياً يجمع بين الزى المدرسي وزى الملوك (زى مخطط) بجانبه جرس يشبه جرس المدرسة..يضرب الجرس في زهق وهو ينادى : يا عوني.

يظهر (عوني) (القائم على شئونه) وهو يجرى مسرعاً نحو الطالب الملك قائلاً : أمرك يافندم.

الطالب الملك في انفعال: إيه يا عوني.. هو إحنا كنا بنتعب وسارقين الجرس بتاع مدرستنا وحاطهولك هنا وبعدين ماتسمعوش.

عوني وهو ينحني معتذراً: أنا آسف يافندم..كنت في الحمام.

الطالب مندهشا: لسه بتشرب سجاير في الحمام يا عوني؟! أنت فاكر نفسك في المدرسة.

يضع عوني يده على فمه في خجل دون أن ينطق.

الطالب : المهم.. في إشاعة بتقول أن الدراسة هتبدأ بكره..الكلام ده صحيح.

يتابع في لهجة تهديد: أوعى تقول صحيح لأخرب بيتك.

obeikandl.com

عوني : صحيح يافندم.

الطالب : أيوه كده..أنا أحب الناس تخاف منى..المهم بقى.. يعنى الدراسة لما تبدأ المفروض نعمل إيه إحنا يعنى..

عوني في استغراب : التعليم هيبدأ يافندم .

الطالب : أيوه إيه المطلوب يعنى .

تحب أقول لحضرتك البرنامج بكره يافندم ؟.

الطالب : يا ريت بس ماتدوسش قوى يا عوني .

للأسف مش أنا اللي حاطت البرنامج يافندم .. اللي حاطه وزارة التربية والتعليم.

الطالب: أيوه .. الوزارة اللي بتوزع علينا عيش وحلاوة في الفسحة..عارفها عارفها .. لا دول ناس طيبين قوى .. قولي كاتبين إيه.

هيبدأ البرنامج بالاستيقاظ صباحا والذهاب للمدرسة يافندم.

الطالب في ضجر : ياه .. شوف اللي بنقول عليهم طيبين..مش كفاية الدراسة هتبدأ.. وهنروح المدرسة كمان.

عوني : أصل هما رأيهم إن التعليم لازم يكون في المدرسة يافندم.

الطالب : غلط..مين اللي قال إن التعليم لازم يكون جوة المدرسة.. معظم الطلبة بيفضلوا يتعلموا في القهوة اللي قدام المدرسة...ما هوده اللي مراجعنا وراوبيخلى العيال كلها ما تستحملش الدراسة.

عوني : أصل هما بيقولوا كمان يافندم أن هما بيصرفوا على كل طالب ومنهم حضرتك ١٢٠دولار في السنة عشان يطلعوا مواطن صالح.

الطالب : آه .. شوف دخلنا في المعايرة بقى..بنصرف عليك..مابنصرفش عليك..وبعدين إيه حكاية مواطن صالح دى .. يعنى هما سابوا الطلبة كلهم وجم على أنا.

عوني : على العموم البرنامج في أول يوم بيكون في الغالب خفيف يافندم .

الطالب : ضروري..هو في حد بيشقى زى الطلبة.

obeikandi.com

عوني : أول حصة احتياطي يافندم..والحصة الثانية برده احتياطي..أما الحصة الثالثة فالظاهر برده إنها احتياطي يافندم.

الطالب في ضجر : ياه يا عوني..٣حصص احتياطي ورا بعض مرة واحدة.

عوني: ماتاضيقش نفسك يافندم.. أثناء الحصص فيه اللي هايسلي حضرتك.

الطالب : قول .

أولا- موقع حضرتك جنب شباك بيطل على مدرسة البنات مباشرة.

الطالب في انفعال : ياوقح عايز طالب محترم يعاكس البنات من شباك الفصل..محراب العلم والعلماء..

ثم يتابع: إحنا بنتقابل طبيعي قدام باب المدرسة في المرواح.

عوني : أنا آسف يافندم.

الطالب :غيره.

الوجبة الغذائية هتتوزع في الحصة التانية يافندم..يعنى نص الحصة ضايع تقريباً.

الطالب في فرحة :أموت في البيض المشش.

عوني :الحصة الرابعة ألعاب وبعديها الفسحة.

يتابع :

وبعديها مسموح حضرتك قانونا بالنط من فوق سور المدرسة.

الطالب منفعلا: تانى وقاحة.. تانى ياعونى..أنا أنط من فوق المدرسة اللي بتعلمنى..أنا أدفع ربع جنيه للفراش وأخرج بكرامتى .

عوني : آسف يافندم .

الطالب: ياه هيبقى يوم شاق قوى يا لطفى.. ياله بقى نستحمله عشان خاطر مصر.المهم إن إحنا خرجنا من المدرسة .

عوني بصوت مرتفع :بعدكده كله سهل يافندم : أول ما هتروح البيت هتضحك على

أبوك وأمك وهتقولهم هاتو فلوس عشان أروح الدرس.

الطالب منفعلاً: وطى صوتك يا بنى آدم .. بتقول الكلام ده في وسط البيت..مدخل الأوضة تقولهم أحسن.

تم يتابع .

عدى دى .. المهم الدرس الخصوصي هيكون فين.

عوني :

حفلة ٣ في السينما يا فندم.

الطالب: معقول جداً..بس خلى إدارة السينما ينقولنا فيلم هابط على مزاجهم الله يخليك..اللي جى طلبة ثانوي مش أي حد.

عوني بصوت مرتفع: وبعد ماترجع يافندم هتضعله على أبوك وأمك تانى وتقولهم إن إنت كنت طول النهار في الدرس.

الطالب منفعلاً: لأ دانت بستعبط بقى يا عوني.. وطي صوتك يا بني آدم.

عوني : أنا أسف يافندم.

يظهر الضيق على الطالب قائلا في استكانة :

بس أنا برده مش مبسوط يا عوني..أنا حاسس..إن أنا تافه..مش حاسس إن أنا بني آدم ياعونى.

مش أنا كده أبقى تافه ومش بنى آدم ياعونى .

عوني : تمام يافندم أنت فعلا كده تبقى زى الحيوانات بالظبط.

الطالب منفعلاً: أنت بتستعبط يا عونى..شايفنى مخطط ولى ديل قدامك.

ينظر إلي ملابسة فيجدها مخططة فعلا فيداريها وينظر إلى ظهره فلا يجد ذيلا..ثم ينظر إلى عوني قائلا :لأمافيش ديل بقى مشعايزين قلة أدب.

عوني: أنا آسف يافندم .. أنا قصدي أريح حضرتك.

obeikandi.com

الطالب في حزن : بس أنا مشمرتاح يا عوني .. أنا حاسس إن أنا (هوا) .. ماليش وزن ماليش قيمة..أنا مش عارف أنا عايش ليه ياعونى.

ثم يتابع : ماتعرفش أنت عايش ليه ياعونى.

عوني : أنا لم عشت ماحدش قاللى أنت عايش ليه يافندم.

الطالب في استهزاء : ما شاء الله النباهة بتشر منك ياعونى..لأ وأنا سبت الدنيا كلها وجاي أسألك أنت .

عوني : تحب أجيب لحضرتك كتب تقرأها يافندم .

الطالب مندهشاً: معقولة..الوزارة بتنزل كتب ممكن نعرف منها إحنا عايشين ليه.

عوني : دى مش كتب الوزارة يافندم.

الطالب مندهشاً: حتى دى فيها كتب خارجية كمان.

ينادى عوني بصوت مرتفع : أجمعوا كل الكتب اللي بتتكلم عن الهدف من الحياة .

يدخل رجلان ضخما الجثة يجران عربة مليئة بالكتب وعلى سطحها ورقة .

ينظر لها الطالب مذهولاً ويمد يده ليأخذ الورقة التى على السطح قائلاً: طيب أنا هقرأ الورقة دى يا عونى..وهاسيبلك بقى أنت المجموعة القيمة دى تتسلى فيها أنت..ويتابع.

بس أنا في الحقيقة خايف لتموت قبل ما تعرف أنا عايش ليه يا عونى.ويتابع في انفعال: ما ينفعش الكلام ده يا عونى..أنا عايز أعرف أنا عايش ليه عشان أعيش حياتي بقى..أنا بالطريقة دى هكمل قراية في القرافة..ويتابع :

أنا عايز حاجة ملخصة وسريعة.

عوني بصوت عال: هاتوا حاجة ملخصة وسريعة.

يظهر ولد صغير يجرى على المسرح ناحية الطالب وفى يده ديسك.. يحمله الطالب في حنان ولطف ويقول : برافو عليك يا عونى : هما الصراصير دى اللي عارفين كل حاجة..البراءة..دول بيلقطوا الإرسال مباشر من فوق على طول.

obeikandi.com

عوني : مش الولد اللي هيقول لحضرتك يافندم.. الديسك اللي في ايديه هو اللى فيه الإجابة.

يأخذ الطالب الديسك باستغراب بعد أن يلقى الولد جانباً.. ويحاول أن ينظر ما بداخل الديسك قائلاً: ياه..كل ده كلام ياعونى...وينظر مرة أخرى ثم يقول :

بس مافيش صور خالص ليه.. ثم ينظر مرة أخرى ويقول : أنا معلوماتى انه بيشتغل كويس قوى على غسالة فول أوتوماتيك...ثم يلقى الديسك إلي عوني الذي يتلقفه قائلاً: ده بيشتغل على الكمبيوتر يافندم.

الطالب منفعلاً: ياعونى هو إحنا جايبين الكمبيوتر برده عشان نقرا عليه..يتابع.

أنت مابتفهمش ياعونى.

ويفكر برهة ثم يتابع : بص..اصطاد لنا أي حد يدينا درس خصوصى في الموضوع ده.

عوني في اضطراب : أنا آسف يافندم.. الموضوع كده يبقى صعب على قوى.

الطالب في اندهاش ممزوج بالحسرة : ياه..للدرجادى ياعونى.. مش عارفين ليه عايشين.

يبدأ الطالب في التحدث بطريقة إلقاء شعرية مصحوبة بخلفية موسيقية: وإذا كنا مشعارفين .. ليه عايشين.

طب نسأل مين ... ونبص لمين...

(يبدأ الفريق الغنائى في الخلفية في الغناء).

مهما عشنا ... وعاشوا غيرنا ... مهما تهنا أو وصلنا ... ونعيش نعافر في السنين .

وتعافرنا ... ونموت ويطوينا التراب ... زى غيرنا... يفضل سؤال ... عمره يساوى عمرنا ... ماضى وحاضرنا ... إيه مصيرنا ... ليه حياتنا ... انتصارنا وانكسارنا.

ارتفاعنا وانهيارنا... إيه هدفنا ... ليه عيشتنا وليه مماتنا ... والسؤال الصعب لينا ... مين اللي هيجاوبه علينا ... مين اللي هينور طريقنا ... مين اللي هيبصر عنينا....

المشهد الثالث

يظهر رب الأسرة (البطل) وهو يجلس منهمكاً على مكتب ملئ بالكتب والأوراق..يلبس نظارة سميكة وملابس متواضعة وقد بدا عليه الإرهاق من كثرة القراءة .

يرن جرس التليفون فيرفع السماعة ويسمع الطرف الآخر وهو يقول :

عم فتحى بتاع اللحمة ؟.

يرد الأب في استهزاء:

لحمة..هو إحنا هنفضل طول عمرنا مابنفكرش غير في الأكل..روح يا ابني ذاكرلك كلمتين عشان تلحق ركاب العلم والعلماء..احنا متأخرين قرنين على الأقل.

ويضع سماعة التليفون وهو يقول : مع السلامة.. ويعود إلي انهماكه في القراءة وهو يتمتم :

لحمة؟ !!.

يرن جرس التليفون مرة أخرى ويرفع السماعة فيسمع الطرف الآخر يقول :

عم فتحى بتاع اللحمة ؟.

يرد في انفعال : يا بنى أصدقك القول أن أنا والمدام وذريتى المصونة المكنونة لانعرف عن اللحمة إلي حضرتك بتتكلم عليها غير أنها كلمة مكونة من أربع حروف وهو غذاء عنصرى طبقى يتسبب في إثارة الفتنة واشتعال الحسد بين الناس....ولعلمك أنا عندى إظهار رقم وأحد أصدقائي اليابانيين أهدانى شاشة مراقبة تليفون..وشايفك دلوقتى وأنت بتعاكس بنت الجيران يا قليل الأدب..

المتحدث في خوف: أنا آسف يا عمو.. حرمت أعاكسك تانى..

الأب وهو يضحك بعد أن يغلق سماعة التليفون: متخلف..حتى لوكان عندى التليفون اللي بيظهر الصورة .. فلازم يكون عنده نفس التليفون .. إنما نقول إيه .. شباب تافه جاهل ترك العلم والتعليم .. وتفرغ للتفاهة والسرحة.

يمسك الأب عصا كانت توجد على المكتب ويضرب بها على المكتب وهويقول :

obeikandl.com

ياولد يارائد..إنت ياولد يارائد .

يظهر الآن الأول يرتدى نظارة ويمسك كراساً في يده ويفكر وهو يتحرك ببطء نحو والده الذي يتحدث إليه بانفعال: إيه ياولد .. بنادى عليك بقالى دقيقة و٢٠ثانية ٢جزء من الثانية.. في إيه؟!! .

الولد : وأنا أعمل إيه بس يا بابا..واجب الرياضة اللي مدوهولنا حضرتك كتير حبتين.

الأب: انتو اللي جيل كسلان .. كان إيه الواجب بتاعك .

الولد : حضرتك كنت مدينى ٣٢٣٢ مسألة على المتتابعة الهندسية والحسابية من أول النهار لحد دلوقتى.ملحقتش أحل غير ٢٦٢٦ مسألة بس .

الأب : ده دليل قاطع أن انتو محتاجين تدريب أكثر على حسن استغلال الزمن في حل المشاكل..اجرى ناديلى إخواتك عايد و فايز .

يذهب رائد لينادى أخويه بينما يرن جرس التليفون ويذهب إليه الأب ويرفع السماعة ليسمع المتحدث يقول : عم سالم بتاع السجق؟.

يرد الأب في هدوء: ده طبعا قريب عم فتحى بتاع اللحمة.

ثم يتابع في نبرة عالية: والله الظاهر عليك وعيله عايزة تتقطع ترنشات وتترمى تحت عجلات القطارات..بس أمتحن الأولاد واستنانى في الوصلة الجاية هقطعلك قطعية على مزاج أهلك.

يضع الأب سماعة التليفون في الوقت الذي يظهر فيه أبناؤه الثلاثة رائد وفايز وعايد وقد أتو في طابور منتظم حيث يرتدى رائد نظارة سميكة ويحمل ثلاثة كتب ويرتدى فايز نظارة أقل سمكاً ويحمل كتابين بينما يرتدى عايد نظارة شمسية ويحمل كتاباً واحداً... ويقول الأب: أهل بأبنائى وفلذات أكبادى..أهلاً بعلماء المستقبل ومصابيح النور وطليعة الشباب..

إنت عارفين طبعاً إن أنا وهبت حياتي للعلم ووهبتكم للعلم وفى سبيل ذلك أنا ضحيت بكل شئ في سبيل العلم..إكسير الحياة..لحد مابقيت زى مانتو شايفين.

obeikandl.com

يتابع بحسرة : شحات .. ما عنديش أي حاجة، وبإذن الله..أنجح في رسالتى في الحياة أن أطلعكوا شحاتين زيى..

ثم ينتفض: لكن ده مش مهم...كل علماء العالم عاشوا حياة صعبة في سبيل هداية البشرية..

عايد: بس إحنا حالنا يصعب عالكافر يا بابا.. في حد في الدنيا يدهن الجزمة بتاعته بويا بدل ما يجيب جزمة جديدة.

الأب : إحنا بنتغلب على مشاكلنا الاقتصادية باستخدام العلم يا قليل الأدب.. يابو نظارة شمس..جى تتمنظر قدام بنت الجيران وحياة أبوك.

فايز : وبعدين إحنا ما بناكلش زى بقية الناس يا بابا.. حضرتك بتوزع علينا الأكل حسب السعرات الحرارية اللي بيحتاجها الجسم .

الأب :السعرات الحرارية اللي موجودة في...تكفى.....يبقى إيه الداعى إن إحنا نكلف نفسنا..واهو كله بيطلع في الغسيل.

رائد: بمناسبة الغسيل يابابا..زمايلنا لاحظوا أن احنابقالنا ٣ سنين ماجبناش هدوم جديدة .

الأب: زمايللكوا عندهم قوة ملاحظة..هو ده ذنبى.. ابقوا صاحبوا عيال مساطيل شوية من اللي بيشوفو الفيديو كليب وبيتفرجوا على الأفلام اللي بيسموها شبابية.. دول أنا متأكد أن مخهم أكثر بياضاً.

نخلينا في موضوعنا .. أنا عايز اطمئن على مستواكو في المذاكرة .. وأقيس معدلات التركيز عندكم..ومعادنا دلوقتى مع اختبار الساعة الخامسة .. والفكرة دى وآخدها من فكرة شاى الساعة خامسة في إنجلترا...

عايد: يعنى الإنجليز دلوقتى بيشربوا شاى واحنا بنمتحن يابابا..

الأب : تفكيرك المستمر في متع الحياة هوده اللي بيأخرك علمياً..وبيخليك ماتتزحزحش عن ٩٨,٩% في أولى إعدادى وثانية إعدادى.. وتعالى يابو نظارة عياقة وخد الاختبار بتاعك.

عايد : أنا مستعد.

الأب: احسب مايأتى في لمح البصر وبدون استخدام آلة حاسبة: ٢,٢٢٢,٥١٢٣٦١٥-(٢٥٢٣١٤)*(١٢٣-٢,١٤-٢٢)/ ٢٤١٢٥٢٣٦٥*(٥٥/ ٥,٢٢)/ ٧٨*٩٩.

عايد: ٢٢,١٣(إجابة افتراضية).

الأب :٢١,١٣ يامسطول..دى أخرة الجرى ورا عربية الكبدة بتاعة الست حلاوتهم اللي قدام المدرسة..ويتابع بانفعال:

تركيزك ضعف يا ولد.

عايد يطأطئ رأسه في خجل:

أنا آسف يا بابا.

الأب : عقابك هيكون قاسى.

الولد في خوف شديد : أرجوك يابابا بلاش العقاب اللي كل مرة .

الأب : الحرمان من الرحلة العلمية إلى الصحراء الغربية .

عايد :أرجوك يا بابا.. أنا بقالى ٣سنين مرحتش رحلة.. وكنت مستنى الرحلة دى بفارغ الصبر.

الأب : عايز تغلط وأطلعك رحلة..إنت فاكرنى إيه اتحاد كرة القدم المصرى.. اللعيبة تروح تتبحتر بره وبعدين يدوها مكافآت إجادة..

رائد : ماعلش يابابا اديله فرصة ثانية .

فايز: إذا كان لما غلط المرة الأولانية حرمه من رحلة للصحراء الغربية .. أمال لوغلط المرة الثانية هيعمل فيه إيه.

عايد: أنا مستعد يا بابا لسؤال ثانى..ولوغلطت أنا اتحمل العقاب.

الأب: ماشى أعملك ملحق وأمرى إلي الله .. المره دى هيكون سؤال في الجغرافيا.. ويتابع في تعالى: وهو سؤال سهل على العموم.

obeikandl.com

ما هو عدد عواصم العالم؟.

عايد: (يذكر الرقم الصحيح).

الأب : اذكرهم جميعا .

فايز في دهشة : إيه.

رائد : حرام عليك يابابا.

الأب : اسكت ياولد أن وهو..ويلتفت إلي عايد قائلا :

اتفضل يا أستاذ يابتاع الرحلات.

يتربع عايد على الكرسى ويذكر العواصم جميعها بسرعة فائقة.

يقوم رائد وفايز بتهنئة عايد ويقول الأب:

جدع ياولد ياعايد .. ومبروك عليك الصحراء الغربية.. وعقبال الشرقية.

يرن جرس التيلفون .. يظن أنه نفس الشخص الذي دأب على مضايقته في التليفون ويقول: ده الحيوان بتاع اللحمة .. أنا رايحله.

يتجه نحو التليفون ويرفع السماعة قائلا: العجل اللي بيتكلم شكله هيدبح النهارده..

يرد الطرف الآخر في دهشة : عجل .. عجل إيه يادكتور زهدى.. الدكتور صابر زميلك في القسم..

دكتور زهدى في اضطراب: دكتور صابر ... أنا آسف يادكتور .. افتكرتك عم فتحى بتاع اللحمة .

دكتور صابر بدهشة: لحمة .. مالك يا دكتور زهدى في إيه .. على العموم أنا اتصلت بيك عشان أعزمك على فرح ابنى الخميس الجاى .

دكتور زهدى: ألف مبروك يادكتور صابر .. ولو إني زعلان أن العروسة معهاش غير٣ دكتوراه بس.

دكتور صابر: ياسيدى أهو كان شبطان فيها بقى .. تعمل إيه؟.. ويتابع: في انتظارك يا دكتور .

obeikandi.com

دكتور زهدى: ضروري يادكتور .. مع السلامة (ويغلق السماعة).

عايد بخبث : هو صحيح حضرتك رايح الفرح يا بابا.

الأب : ومارحش ليه يا ولد..إكمنى ماعييش نظارة شمس زيك.

فايز:هو قصده يقول إن حضرتك مشغول فى الأبحاث العلمية بتاعتك.

الأب :اه والله ياولد يافايز..ده أنا غرقان لشوشتى .

رائد:يعنى تقريبا مش رايح.

الأب : والله أنا اتكسفت أعتذر للدكتور يارائد.

عايد: يعنى إنه كنت رحت فرح حد ولا عزاه قبل كده.

الأب :تقصد إيه ياولد.

فايز: يقصد أن حياتنا وحياتك غريبة يا بابا.. كلها تعليم ومذاكرة وأبحاث.. ما بنروحش لحد محدش بيجيلنا.. مشعرفين حاجة عن حد..ده إحنا حتى الجرائد ما بنقراهاش.

الأب: كل ده كلام فارغ يضيع الوقت .. مفيش أولى من الاهتمام بالعلم .

رائد: أولى منه الحياة.

الأب: إحنا عايشين عشان العلم.. أنا دكتور في الجامعة .. وإنت لازم تطلعوا دكاترة.. وتتجوزوا دكاتره وتخلفوا دكاترة.

رائد : واللي يفشل .

الأب : يبقى فشل في الحياة.

(يبدأ الفريق الغنائى في الخلفية في الغناء).

مهما عشنا .. وعاشوا غيرنا ... مهما تهنا أو وصلنا...ونعيش نعافر في السنين ... وتعافرنا... ونموت ويطوينا التراب ... زى غيرنا ... يفضل سؤال ... عمره يساوى عمرنا ... ماضى وحاضرنا ... إيه مصيرنا... ليه حياتنا ... انتصارنا وانكسارنا... ارتفاعنا وانهيارنا... إيه هدفنا ... ليه عيشتنا وليه مماتنا ... والسؤال الصعب لينا ... مين اللي هيجاوبه علينا ... مين اللي هينور طريقنا ... مين اللي هيبصر عنينا.

obeikandi.com

المشهد الرابع

بعد انتهاء العام الدراسي تنظم المدرسة رحلة يخرج فيها المدرس (فاضل) وبعض الطلبة ويظهر المدر س وسط الطلبة في داخل الأتوبيس وهو يقول:

أتمنى ليكم رحلة سعيدة أبنائى الطلبة..من حقنا بعد المجهود الكبير في السرمحة طول السنة والغش في الامتحانات أن إحنا نشوف نفسنا شوية بقى .

طالب١- هو باقى قد إيه عقبال مانوصل يا أستاذ.

المدرس: الظاهر أن الأسئلة المحرجة مش في الفصل بس..لأ دى في الرحلات كمان .

طالب٢- هوده كمان سؤال في المنهج يا أستاذ؟.

المدرس: لا مانا هجاوب هجاوب..هو في الحقيقة المفروض أن المسافة بتستغرق ساعتين ونصف بكتيره..احنا بقالنا بالصلاة على النبى ٣ ساعات ونصف.. لكن الظاهر أن عم السواق (عمشان) واخد الجرعة بتاعة السواقة وموتوهاه حبتين.. انما دى مشمشكلة.. إحنا خدنا الأجازة وموارناش حاجة.. والبشاير الحمد لله بتقول إنه يوم سعيد.وهنعيش حياتنا بقى.

يسمع صوت لصرير فرامل الأتوبيس .

طالب٣- فيه إيه يا أستاذ..هو إحنا فين؟.

المدرس: الظاهر أن إحنا وصلنا بس عم السواق حب يعمل وقفة أمريكانى شوية.

يجرى السائق على المدر س وهو فزع ويقول بصوت عال: يا أستاذ فاضل.. الظاهر إنا إحنا توهنا.

المدر س في سخرية :

والله ليك وحشة ياعم عمشان..جيللى وسط الأولاد وبصوت زى الزمارةّواحنا توهنا يا أستاذ".

يلتفت المدرس ناحية الأولاد قائلا:

شوفو ياحبايبى..إحنا الرحلة بتاعتنا رحلة غير تقليدية..إحنا هنلعب لعبة صغيرة مع بعض، وهنشوف طلابنا الحلوين الشطار هيتصرفوا فيها إزاى.

طالب ٣- لعب إيه دلوقتى يا أستاذ..نلعب لما نوصل.

المدرس : ما هو إحنا مش هنوصل.. ويتابع باضطراب :

قصدى دى مسابقة إحنا منظمنها لاختبار الذكاء وحسن التصرف فى المواقف الصعبة.

ويتابع بحماس :دلوقتى كل الطلبة تنزل من الأتوبيس..

ينزل بعض طلبةالمقدمة وهم فرحون ويصيحون:هيه.

المدرس :فرحانين على إيه جتكوا نيلة.

طالب١- هي اللعبة هتقعد كتير يا أستاذ.

المدرس: والله أنا بلعب زيك بالظبط .. عم عمشان السواق هو الميقاتى الوحيد للمباراة .

طالب ٢- أنت شكلك مخطوف كده ليه ياأستاذ.

المدرس : كلها شوية وأنا اللي هاسؤلكو السؤال ده.

طالب ٣- وهو يصطنع الذكاء: أنا حاسس إن في حاجة غريبة يا أستاذ .

المدر س: هاتعمللى فيها نيوتن..انزل .

ينزل الطلبة من الأتوبيس تباعا حتى يبقى في الأتوبيس الأستاذ فاضل وعم عمشان فقط يلتفت الأستاذ فاضل إلي الطلبة وهم في الأرض قائلا في أسلوب خطابي:

أولادي وفلذات أكبادي:أول درس المفروض نتعلمه في المواقف الصعبة..قوة الأعصاب .

ويتابع وهو يسقط مغشيا عليه : الحقنى يا عم عمشان .

ويغلق الستار.

يفتح الستار ويظهر المدرس وسط الطلبة وهم يحاولون إيقاظه.

طالب ١- قوم يا أستاذ..اصلب طولك .

عم عمشان: إمال إحنا نعمل ايه؟.

يفتح المدرس عينيه بالتدريج قائلاً:ياه..الحمد لله كان كابوس فظيع..أنا برده ماكونتش مصدق..وينظر حوله فيجد الصحراء من حوله ويقول في حزن : أول مرة أشوف كابوس يتحقق بالسرعة دى .

طالب ٢- خلاص يا أستاذ ماحنا عرفنا كل حاجة .

طالب ٣- صحيح إحنا توهنا يا أستاذ.

المدرس وهو ينظر لعم عمشان قائلاً: أنت فهمتهم كل حاجة يا عم عمشان.. ارحمنى. هو أن أعمى النظر وأعمى القلب كمان..ذنبهم إيه الأولاد تخضهم كده؟.

السائق عمشان: الهروب من المشكلة..مشهيحلها يا أستاذ..

المدرس في استهزاء : ما شاء الله..ربنا خد منك كل حاجة واداك النظر والحكمة.

طالب ٢- إحنا فعلا لازم نفكر في حل المشكلة يا أستاذ..وأول حاجة نفكر فيها..ازاى نحدد مكاننا .

المدرس: يابن الإيه..طول عمري أقول عليك أنت كنت بتذاكر وتدكن..قول لزمايلك بقى ازاى هنحدد مكاننا .

طالب ٣ - يقول وهو يصطنع الذكاء: أنا أقولكو يا أستاذ.

ينتبه إليه الطلبة جميعهم وعم عمشان وهو يقول :احنا نستنى لحد الليل مايليل.. ونحدد مكاننا عن طريق النجوم .

بينما يشاور الطلبة وعم عمشان بأيديهم في حركة يأس..يقول المدرس في استهزاء:

يا فرحة أبوك وأمك بيك..أنا كنت متأكد أن آخرك في الثانوية العامة ٥٠% مع الرأفة.

طالب ١- خلينا واقعيين يا أستاذ..واضحان إحنا هنطول في المكان..وأول حاجة نعملها إن إحنا ننظم توزيع الأكل والشرب قبل ما تحصل خناقات بيننا..لازم نديها

لحضرتك ونقسمها بالتساوى.

المدرس: الله..الله عليك يا ولد..فكرة عظيمة..أحسن حاجة فيها أن الأكل والشرب هيكون تحت إيدي .

طالب٢- عم عمشان يلم الأكل ويأخذ ازايز الميه في الأتوبيس.

المدرس: مبروك يا عم عمشان..اترقيت من سواق مابتشوفش..لوزير تموين..يعنى في الحالتين ضايعين والحمد لله.

طالب ٣- وزع بالعدل وأوعى تدكن حاجة يا عم عمشان .

عمشان :يا بنى وده معقول..هعمل كده وإحنا في آخر أيامنا.

المدرس منفعلاً: بلاش التفاؤل اللي بيشر منك ده يا عم عمشان..العيال مشناقصة.

طالب ٢- في استكانة :

هو إحنا خلاص هنموت يا أستاذ.

يبدأ الجميع في حوار شعري تصحبه خلفية موسيقية .

المدرس بتأثر: ومين اللي يقدر يعرف إمتي يموت وفين.

طالب ١- بس إحنا لسه صغيرين.

المدرس: مش ده المهم.. المهم إحنا كنا ليه عايشين.

عمشان : وهتفرق إيه.

الدرس: تفرق طريق هتمشى فيه .

تفرق هدف عينك عليه .

طالب ٣- يمكن نتوه .

المدرس: لو كنت دارس سكتك..لو كنت عارف وجهتك..

ازاى نتوه؟!.

طالب ٢- بس إحنا توهنا.

obeikandl.com

المدرس: وعشان كده..لازم نفكر من جديد..

لازم نحاسب نفسنا..قبل مايتوه مننا كل الطريق..

يمكن نلاقى في الصحارى..طريق رجوع.

يمكن نلاقى دليل..يهدينا الرجوع.

طالب ١- بس امت .. والعمر بيلملم كتابه .. وبتنطفى كل الشموع.

المدرس: وعشان كده..ومن هنا..لازم نراجع نفسنا.

ايه الهدف..ليه الحياة وازاى هنحسب عمرنا.

(أغنية للفرقة الغنائية في الخلفية) .

مهما عشنا ... وعاشوا غيرنا ... مهما تهنا أو وصلنا ... ونعيش نعافر في السنين...وتعافرنا... ونموت ويطوينا التراب... زى غيرنا... يفضل سؤال ... عمره يساوى عمرنا ... ماضي وحاضرنا ... إيه مصيرنا ... ليه حياتنا ... انتصارنا وانكسارنا ... ارتفاعنا وانهيارنا ... إيه هدفنا ... ليه عيشتنا وليه مماتنا ... والسؤال الصعب لينا ... مين اللي هيجاوبه علينا ... مين اللي هينور طريقنا ... مين اللي هيبصر عنينا

المشهد الخامس

بعد مرور يوم.....

طالب ٢- في انفعال : إحنا بقالنا يوم كامل هنا يا أستاذ..أنا مش عايز أموت هنا.

المدر س باستهزاء:

تحب سعادتك أحجز لك تموت في الهيلتون..هو بمزاجك..ما تخلى عندك دم يله.

يرتفع صوت طالب٣ يبكى فيجرى عليه الأستاذ فاضل قائلا : كويس كده يا ولد..أديك فزعت زميلك..ويتابع وهو يحدث طالب٢: امسك نفسك يا حبيبي..يعنى إحنا هنكون أحسن من اللي راحو في ٦ أكتوبر؟.

طالب٣- يا أستاذ..أنا مشبعيط عشان خايف.. أنا بعيط عشان ماتش الأهلي

obeikandl.com

والزمالك النهارده ومشهشوفه.

يزيحه المدرس بيده غاضبا وهو يقول : جتك ستين نيلة .. لو حصل ورجعنا هسيبك هنا في الصحراء تتفرج على كل المباريات على الهواء مباشرة.

طالب ٢- في انفعال: مش معقول .. مش ممكن كل الجهد اللي بذلته في المذاكرة ده يضيع .. أنا اللي بحلم أنى أطلع من أوائل الجمهورية .. تكون نهايتي هنا .. في الصحراء .. مستحيل .

المدر س: ما تقلقش.. إحنا هنحاول نكلم الوزير.. يعملك لجنة خاصة على الرملة هنا.

طالب ١- الظاهر إن العذاب ورايا ورايا..حتى لما طلعت رحلة أفرح شوية..قلبت بنكد وشكلنا مش راجع تاني..الظاهر إن أنا موعود بالعذاب.

المدرس: هاتعمللى فيها عبد الحليم حافظ.. .

ويتابع .

يا جماعة.. مش عايزين يأس.. إحنا عايزين نفكر.

طالب٣- أنا عندي فكرة .

المدرس: أتوسل إليك بلاش تقولها.

يتابع طالب ٣- ننتحر بكرامتنا بدل البهدلة.

يشير الطلبة بأيديهم إشارة يأس ويندفع إليه المدرس وهو يمسكه في غضب قائلا :

ده أنت قنبلة غباء أقوى من أسلحة الدمار الشامل.

يتابع طالب ٣- أنا عايز أعترف بحاجة يا أستاذ..

ويخرج ميدالية من جيبه .. يهتف طالب ١- الميدالية بتاعتى .

طالب ٣- نشلتها منك في الأوتوبيس.. اضحك عليك فيها.. الميداليات اللي كنت بانشلها قبل كده كانت أنضف من كده بكتير.

ويخرج كتابا صغيرا من جيبه يهتف طالب ٢ - كتابي.. كنت بدور عليه.

طالب ٣- اسمه عجبنى..ثورة العلم في القرن الـ١٩ بس مرضتش أقراه..عشان عيب أقرأ حاجة مشبتاعتى.

يهم المدرس بالكلام..يوقفه الطالب قائلاً: لحظة يا أستاذ..عشان نتهزأ مرة واحدة ونخلص..ويخرج من جيبة ساعة قائلاً: الساعة بتاعتك يا أستاذ..يا ريت حضرتك تركبلها أستيك عشان متقعش منك تانى.

المدرس بعطف: أنا مشههزأك ولا حاجة أنا وكل زمايلك بنشكرك..الاعتراف بالخطأ شجاعة..كلنا محتاجنها عشان نصحح مسارنا.

طالب ٢- أنا حرامي يا أستاذ مش كده.

المدر س: كنت .

طالب ٢- بس أنا ماكنتش بسرق الحاجة من زمايلى وبس..أنا كنت بسرق عمري كله..كل حياتي جرى ورا أغاني الكاسيت والأفلام..سينما وفيديو وتليفزيون وكمبيوتر..حتى لما كنت بروح لمدرس بفكر إزاى أسرق الحصة من زمايلى..وبعدين أخطط للهروب عشان أكمل اليوم مع بنت من بنات المدرسة اللي جنبينا..

الجرائد بفتحها عشان أقرأ الفن والرياضة والحوادث..عمري ما عملت أو حتى حاولت أعمل حاجة مهمة أو مفيدة.

دلوقتى وفى المكان ده.. أنا شايف عمري كله.. ولا حاجة ..أنا عشت حياتي كلها..عشان ولا حاجة..في حد في الدنيا اتسرق أكثر منى.؟.

طب أنا كنت مشتت حياتي دي كلها كلها..وكان المفروض أعمل إيه..حد يقدر يجاوبنى..حد يقدر يجاوبنى.

طالب ٢- نفس السؤال اللي كان بيلح على..ودايما أهرب منه .

أنا لازم أكون أشطر واحد في المدرسة..طب ليه.

عشان أجيب أعلى مجموع في الثانوية..برده ليه .

openkanal.com

عشان أدخل كلية الطب وأبقى دكتور.

والهدف؟.

أكون معروف ومشهور والناس كلها بتشاور على..

وبعدين ؟.

أتجوز ويبقى لي أولاد..وأموت..

نفس السيناريو بتاع كل الناس اللي قبلي واللي معايا واللي بعدى.

يعنى نهاية كل السهر والتعب والشقى..

الموت..

وإذا كنا في النهاية هنموت.. كان إيه لزمته التعب والشقى..

مش ممكن ربنا يكون خلقنا عشان كده..

ويفضل السؤال.. .

ليه اتخلقنا..إيه سر وجودنا.

فكرت ومعرفتش..ومحاولتش أعرف .

ومرت الأيام..ونسيت السؤال..وتاهت الإجابة..

دلوقتى..السؤال بيفرض نفسه على..

دلوقتى مقدرش أهرب من إجابة السؤال..

دلوقتى لازم أعرف الإجابة..

يا ترى إحنا اتخلقنا ليه..

حد يقدر يجاوبنى..

حد يقدر يجاوبنى.

طالب ١- أنا حياتي كلها.. عذاب في عذاب .

obeikandl.com

الفقر كان مشكلة بيتنا..

الخناقات بين أبويا وأمي ما بتنتهيش..

أمي كانت دائما تقولى إن أبويا ما كانش عايز يدخلني المدرسة عشان ما يصرفش على..

كان لازم أشتغل في الأجازة عشان أساعد البيت.. وأوفر مصاريف المدرسة..

كنت با شوف زمايلى في الصيف بيخرجوا ويتفسحوا.. وأنا قاعد في ورشة الأسطى بتاعي... زعيق على طول..وكتير ضرب بالإيد والرجل....

كنت أشوفهم وأسأل نفسي..هو أنا اتخلقت عشان أفضل كده طول حياتي..

والسؤال اللي مالوش إجابة معايا لحد دلوقتى..

هو أنا اتخلقت ليه..واحنا اتخلقنا ليه..

حد عنده إجابة على السؤال..حد يقدر يجاوبني على السؤال .

المدرس في حسم : أنا .

تلتفت إليه الأنظار ثم يتابع هو في خفة ظل :

معرفش إجابة السؤال زيبكو بالظبط.

ويتابع :

لكن ممكن نفكر مع بعض... بعد يوم ونص في المكان ده..وبعد ما فقدنا اتصالنا بأي حد..تفتكروا احتمالات النجاة عندنا كام في المية.

طالب١- احتمال واحد.. صفر في المية .

المدر س بسخرية : يعنى خلاص..كنت مزنوق فيها قوى.

طالب ٢- وهو في احتمال تاني يا أستاذ.

المدرس بحماس: ممكن يبقى احتمال ١٠٠%.

طالب ٣- متلهفا : إزاي يا أستاذ.

obeikandi.com

عمشان : يا ريت تقول وتخلصنا يا أستاذ فاضل عشان في مدرسة تانية متفقة معايا على رحلة بكرة .

المدرس : هو في احتمال إن الاحتمال ده ماتكونش معانا فيه يا عم عمشان.

طالب ١- هو الاحتمال ده ممكن ينجى ناس وناس لأ.

المدرس : ده صحيح.

يبدأ الحوار الشعرى المصحوب بخلفية موسيقية .

طالب ٢- يبقى إحنا في امتحان .

طالب ١- ومين صاحب الامتحان.

عم عمشان وهو يرفع يده اليمنى إلى السماء قائلاً: ربنا.

المدرس بصوت عال : عم عمشان عرفها..واحنا ما كناش عرفينها.

طالب ٢- يعني إحنا في اختبار .

المدرس : حياتنا كلها اختبار .

عمرنا اختبار..متنا اختبار..صحتنا اختبار..مذاكرتنا اختبار.

طالب ٣- يعنى إيه .

المدرس: يعنى عمرنا ملك ربنا..

متنا صحتنا علمنا..كله ملك ربنا.

الجميع في تساؤل : يعنى إحنا عايشين لربنا؟.

المدرس : إحنا اتخلقنا عشان كده..الله خلقنا عشان كده.

العبادة في كل شيء.

حتى أكلنا..شربنا..لعبنا.

الجميع: يبقى اتخلقنا عشان رسالة .

obeikandl.com

المدرس: والاختبار هو توصيل الرسالة .

الجميع : واللي يوصل الرسالة .

المدرس : يبقى صاحب النجاة .. حتى لو مات في الحياة.

عم عمشان: وإزاى نغير الطريق .

المدرس : لو كل واحد فينا غير نيته..يبقى غيرنا الطريق .

لربنا كانت صلاتك..

تبقى ليه كل حياتك..

الجميع : ولعبنا .

المدرس: لربنا.

الجميع : وعلمنا .

المدرس :لربنا.

الجميع : وأكلنا وشربنا .

المدرس : لربنا .

الجميع :تبقى حياتنا لربنا .

المدر س: أيوه اتخلقنا لربنا.

الجميع : ونبقى فزنا بالنجاة..ولومتنا في الحياة.

((أغنية للفرقة الغنائية في الخلفية) ويشارك معهم الممثلون.

نطق السحاب باسم الإله .. نزل المطر... نطق التراب باسم الإله... طلع الثمر... والكون يسبح.. بحور جبال شمس وقمر... إنسان..حجر... ويقول يا رب... إحنا ليك ... وبكل حب... حياتنا ليك... ومصيرنا ليك ... ورضاك علينا ... كل منانا ... غضبك علينا ... سر شقانا ... ودعانا ليك ... تجعلنا ليك ... طول عمرنا ... حياتنا ليك... مماتنا ليك ... وبرحمتك وبقدرتك ... خطينا أبواب جنتك ... يا ربنا....ياللى وهبت عمرنا.

يغلق الستار.

obeikandi.com

انتقام

«لا يا دكتور.. عملية أخرى.. مستحيل ».

هتف بها الأستاذ «جودة» وقد غلبته دموعه التي أخذت تتساقط على فراش ابنه «محمد»، في غرفة العناية المركزة بمستشفى سليمان بك بالمملكة العربية السعودية، وكانت حالته تقذف في قلب كل من رآه بقذائف من الهم والحزن والأسى، مما دفع الطبيب المعالج أن يقول بصوت هادئ لا يخلو من نبرة ألم:

«هون عليك يا أستاذ «جودة»، ما حدث لابنك حدث ولا زال يحدث لأطفال كثيرين غيره ، وأنا وزملائي قد وهبنا علمنا ووقتنا لهم، وحالة ابنك «محمد» قد تحسنت كثيرًا، فقط لم يبق إلا عملية واحدة يتم فيها إدخال جمجمة صناعية من التتانيوم بدلاً من الجمجمة التي دمرتها الرصاصة و..

رن الهاتف المحمول فجأة فالتقطه الطبيب وأخذ يتمتم ببعض الكلمات وبعد ثوان أغلقه وقال:

«معذرة يا أستاذ «جودة» الإدارة تطلبني فورًا في أمر هام، لا أريدك أن تقلق بحال، ولدك مثل عشرات غيره يلقون رعاية خاصة جدًا بتوجيه من الملك فهد شخصيًا، ثم تابع وهو ينظر إليه في شفقة:

«هذا أقل ما نستطيع أن نقدمه لــ..

فلسطين».

ثم انطلق ناحية باب الغرفة وفي اللحظة التي أمسك بها الباب، التفت بجسده ناحية الأستاذ «جودة» وهو يبتسم ابتسامة حانية قائلاً:

سأحضر غدًا بإذن الله في تمام الساعة العاشرة صباحًا.. أحب أن ألقاك لنتحدث في موضوع.

وكان صعبًا على الأستاذ «جودة» أن يتحمل يومًا واحدًا آخر.. بل ساعة أخرى.. فقد اتجه فورًا إلى إدارة المستشفى ليستخرج تصريحًا لخروج ابنه «محمد»، وأعطته الإدارة تصريح الخروج، مع مبلغ ثلاثة آلاف ريال، كتعويض بسيط تقدمه السلطات السعودية لأصعب

عشرين حالة من مجموع مائة حالة تأتي من فلسطين، كما أرفقوا بالمبلغ تذكرتي طيران لشخصين إلى الأردن، حيث يكمل هو بعدها طريقه بريًا إلى مدينته.. القدس.

مسكين الأستاذ «جودة».. لم يعد يحتمل هذا العذاب الذي يستقر في جسد ولده «محمد» ذو الثلاثة عشر ربيعًا..

لم يعد يحتمل نظرات العطف والشفقة لكل من رآه على فراشه بالمستشفى بين الحياة والموت.

ستة أشهر كاملة.. يصارع ابنه الموت..

ويصارع هو مشاعر الغدر والخسة والنذالة التي جعلت جنودًا لم تعرف قلوبهم الرحمة يومًا.. كي يظلوا يطلقون الرصاص على طفل صغير لا حول له ولا قوة.

ستة أشهر كاملة.. والمشهد يتراقص أمام عينيه كشيطان.

«لا يا أبي.. لن أدعك حتى تأخذني معك لصلاة الجمعة بالمسجد الأقصى.

قالها «محمد» كنسمة رقيقة تهب على وجه أبيه، فتطير معها كل سنين عمره فرحًا وبهجة وقد حمل «محمدًا» وضمه إلى صدره بحنان الدنيا كلها قائلاً:

«ومن قال لك أنني سأتركك، وإذا كان الرجال يصلون في المنزل، فأين تصلي النساء؟!

وذهبا معًا لأداء الصلاة، وكلمات الجهاد والاستشهاد كانت تهز جدران المسجد في خطبة الجمعة.. وبعد صلاة السنة لم يجد الأب «محمدًا» بجانبه، وقبل أن يهم بالبحث عنه اخترقت أذنه طلقات رصاص من خارج المسجد، هجوم بربري من خنازير الأرض على عشرات المصلين خارج المسجد بعد أن فرغوا من الصلاة.. واندفع الأب، كالمجنون يبحث عن ولده «محمد»، وبعد ثوان وجده.. غارقًا في دمائه خلف صندوق من القمامة احتمى به فلم يحمه من رصاصة اخترقت رأسه فأردته قتيلاً..

أو بالأصح.. كما تصور الجميع..

وبكى الأب كما لم يبك في حياته.. ولم يبق من حزن العالم شيء بعد أن تجمع كله في قلبه.

وعند دفنه كانت المفاجأة..

المفاجأة المذهلة!!

فلقد سالت دمعة من عين «محمد»، وهلل الجميع.. الله أكبر.. الله أكبر ، ومن عالم الموت فاجأهم بمفاجأة أخرى دبت في قلوب الوقوف الحياة، فلقد رفع إصبعيه بعلامة النصر كأنه يقول للجميع: لا تيئسوا أبدًا.

مثلما لم ييئس هو ولا أبوه من رحمة الله.. أبدًا.

ستة أشهر ورحلة العلاج لا تريد أن تنتهي.. خمسة عشر عملية جراحية.. تحول بعدها «محمد» إلى نصف جماد ونصف إنسان!! فلقد أصبح رفيقًا لكرسي متحرك، بعد أن شلت حركته، يتنفس من ثقب في رقبته، ويأكل من ثقب في بطنه، ونظر الأب إليه بكل أسى الدنيا وقد ترقرقت الدموع في عينيه وأدرك أنهم يسرقون عمر الأطفال بعد أن سرقوا أرضهم، وفي غمرة الانفعال صاح الأب – حتى إنه فوجئ بنظرات من حوله من ركاب الطائرة – وهو يقول يا للأوغاد.. حتما سأنتقم!

كانت الكلمة تخرج من أعماق أعماقه.. وظلت تلح عليه إلحاحًا ملكت عليه كيانه كله.. ولكن.

كيف ينتقم؟

كما يهودي يكفيه في «محمد».. خمسة عشر.. ألف مليون كل هذا لا يشفى غليل نظرة واحدة من أب مكلوم ذبح قهرًا وغدرًا..

كيف ينتقم؟

لو تحول كل البغض والغل الذي يحتمل في صدره إلى قذائف، لأردى كل يهود الأرض في ساعة واحدة.. لو استحال الحزن الذي يتساقط مع دمعة واحدة من دموعه إلى لهيب لأحرقهم عن آخرهم..

كيف ينتقم؟

أيفجر نفسه وسط مجموعة من الجنود كما يفعل فدائيو حماس وفتح وحزب الله؟ أيمسك سلاحًا آليًا على قارعة الطريق ويحصد فيهم ما استطاع أن يحصد؟

ولو فعل..

سيذهب خمسة.. عشرة.. عشرين على الأكثر.. يذهب هو معهم.. وتعود الجراثيم لتظهر من جديد لتقتل الزهور ، وتحرق أوراق الشجر..

كيف ينتقم؟

قفزت الفكرة إلى رأسه، حتى إنها حملت جسده فجأة ليهب من على مقعده من الطائرة.. خيل إليه أن يذهب إلى قائد الطائرة ليطلب منه أن يزيد من السرعة.. أو بعض السرعة فقط..

فقد وصل للفكرة أخيرًا.. وصل للطريقة التي ربما تبلغ كل هذا الغضب الذي يكتم على أنفاسه.

وهبطت الطائرة في مطار الأردن، وبينما كان يهبط هو وابنه «محمد» من على سلم الطائرة.. بينما كانت تتصاعد الفكرة في رأسه.

بكل سرعة..بكل قوة..

وفي الطريق البري إلى القدس.. أخذ يعيد الفكرة ، ويرتبها.. فكرة الانتقام.

ليس من عشرات الجنود الذين يتلقون الأوامر، وينفذون التعليمات.

بل منه هو.. شخصيًا.

تلك الرأس العفنة التي تلقي الأوامر وتصدر التعليمات ، أن يفقأ تلك العيون التي تغتسل كل يوم بدماء الأطفال الأبرياء.. أن يحرق ذلك القلب الأسود الذي أحرق قلوب آلاف الأمهات على أولادهم وأزواجهم..

نعم.. إنه هو ، هو الوحيد الذي ربما يحقق المعادلة، على الأقل أمام الناس.

ولكن تنفيذ الفكرة.. يحتاج إلى تخطيط عالي الدقة، باليوم والساعة واللحظة..

إنه حتما يحتاج إلى مساعدة آخرين ممن تدربوا على هذه العمليات جيدًا.

وسيكون هو منفذها.. وسيكون هو الضحية، لأول مرة يكون هو الضحية..

وفجأة توقفت السيارة، ومع نظرة واحدة.. كاد يتوقف قلبه معها.

رباه.. ما الذي يحدث!!

بيته تحول إلى حطام.. زوجته وأولاده أصبحوا أرقامًا في آلاف المشردين!!

زوج من الجارفات يهدم البيوت ويقتل الحياة، ليمحو بلاده من على خريطة العالم!!

إنها تتقدم في جبروت .. لا يوقفها أحد.

ومن ورائها.. ظهر هو أمامه، كشبح يضحك ضحكات الشياطين.

وكأنه يقول:

لن تستطيع.. مهما حاولت.. لن تستطيع.

وأدرك هو أنه وحده أضعف من أن ينتقم.

بل إنه لن يجدي أن ينتقم وحده!

ومع دمعة من عينيه..

نظر إلى ابنه «محمد» قائلاً:

آسف يا «محمد».. لابد أن ننتظر!!

ولا زال الأستاذ «جودة» وابنه «محمد» ينظرون نظرة رجاء ليس له حدود إلى الأمة الإسلامية بأسرها.. وينتظرون..

وينتظرون..

وينتظرون..

***

obeikandl.com

وخز الضمير

قصة قصيرة

((أنت مجنون !!))

صاح بها الدكتور ناجى – الجراح الشهير – وأحد أساتذة طب قصر العيني – في وجه ابنه وهو يتابع بانفعال شديد:

ألا تعرف ماذا فعلت لكي تعين معيداً بالكلية .. لقد خاطرت بمستقبلي كله من أجلك.

قال ابنه وقد دفن وجهه المطل بالأسى والحزن بين يديه ، وخرجت الكلمات مكتومة من فمه وهو ينطقها باستسلام واضح :

نعم ..للأسف أعرف .. وهذا ما يرعبني أكثر .

هتف الدكتور ناجى متسائلاً :

يرعبك ؟ !

انتفض وجه شريف من بين يديه ، ونظر إلى والده وقد غلبه الانفعال قائلاً:

نعم يرعبني .. ألا تخشى من انكشاف الأمر ، أتتخيل حجم الفضيحة التي ستلحق بى وبك عندما يكتشف الجميع أنني ..

وضرب بكلتا يديه على مكتبه وهو ينهار على مقعده متابعاً :

لص .. سارق !!

صاح به والده في قوة:

أنت جبان وغبي .. اعلم أنه لا أحد يستطيع أن يبحث ورائي ، أو يشك في أنني ارتكبت أي مخالفة حتى لو شك أحد ، فلن يجرؤ أن يرفع بصره في وجه الدكتور ناجى ؟ !

نظر إليه شريف نظرة بائسة ووالده يتابع :

obeikandl.com

ثم تعالى هنا .. ما هو الغريب فيما فعلته .. ألا تعلم أن هذا هو القانون السائد عندنا في قصر العيني منذ سنوات .. كل أبناء الأساتذة يعينون في الكلية ، الذي يستحق والذي لا يستحق .. فهل فعلنا نحن شيئاً جديداً حتى أراك في هذه الحالة الرثة !

رد شريف في حسم :

كون الناس جميعهم يفعلون الخطأ .. ليس مبرراً للخطأ . الملايين من الناس يدخنون ، هل معنى ذلك أن ننصح الناس بالتدخين ، أو نتوقف عند نصحهم بأضراره .

هتف الدكتور ناجى في عنف :

دعك من هذه الفلسفة يا ولد .. وانتبه لمستقبلك ، قال شريف وهو في حالة أقرب للبكاء :

يا أبى .. أنت لا تفهمني أبداً .. افهمني ولو مرة واحدة في حياتك ، أنا أشعر بالمهانة وسط زملائي ، لا أستطيع أن أتحمل نظراتهم لي . كدت أشعر أن كل الأحاديث الجانبية للممرضات تتناولني أنا بالذات ، بأنني لا أستحق هذا المكان . وأن من يستحقه غيري .. وغيري هذا أنت تعرفه جيداً يا أبى .

ألم تتردد لحظة ، وأنت ترى زميلي (حازم) يسبقني في الترتيب ، في أن تجعله بعدى، وبكم ؟ بخمسين درجة كاملة !!

هو اجتهد أكثر. ما ذنبه أنه لم يكن ابناً لأستاذ في الجامعة . أليس هذا وأداً لقيم الحق والعدل .. أليس هذا إعلاناً للظلم الواضح الصريح .

قاطعه والده الدكتور ناجى وقد مل من كلامه الإنشائي – من وجهة نظره – قائلاً :

ربما يكون كلامك صحيحاً .. ولكن في أي مجتمع آخر غير الذي نحن فيه ، وفى أي عالم آخر غير عالمنا ، عالم الاعتراف بالقوة واحترام القوى ، الضعيف ليس له مكان ، وقيم الحق والعدل التي تتحدث عنها أنت الآن لم تعد تقنع أحداً اليوم ، الذي يقنع الجميع .. شئت أم أبيت: النفوذ والسلطة والمال. ثم تابع وهو يسلط عينيه على عيني شريف :

اسمع يا ولد .. أنت ابني الوحيد .. ابن الدكتور ناجى .. والدكتور ناجى لا يقبل إلا أن يكون ابنه خلفاً له في الكلية ، فلتسلك حياتك كما أريد أنا .. أفهمت .

obeikandl.com

ثم اندفع خارج المكان وقد امتلأ وجهه بالغضب ، وترك ولده الدكتور شريف نهباً لهذا الصراع الذي يلتهمه كل دقيقة .. بل كل لحظة ..

كان يشعر أن أعصابه تتآكل، وأن رأسه لا يستطيع أن يحمل بصيلات شعره من فرط ثقلها كيف أواجهه .. كيف تقع عيناي على عينيه ..

من أي مكان في بحور اللغة الواسعة ، سينتقى لساني كلمات تناسب الموقف ؟ !

لك الله .. يا حازم ! آه لو تعرف أن الذي طعنك في ظهرك ، هو أعز الناس إلى قلبك؟؟

آه لو تعرف أن الذي سرق عمرك ، هو نفسه الذي أعطيته دون حساب !!

طالما ساعدته ، ووقفت بجانبه ، ونصحته ..

وظلت الأفكار تطرق رأس شريف كمطرقة من حديد ، لا ترحم ولا تهدأ ..

حتى إنه حاول من فرط الألم ..

أن يهرب ..

يهرب من الموقف كله بكلمات تريحه .. ولو مؤقتاً .

حتى ولو لوى ذراع المنطق ، أو قلب الحقيقة ، أو ألبس الحق باطلاً والباطل حقاً ..

أو أي شيء ..

حتى يستريح ..

وأراحه أن يعيد كلام أبيه الدكتور ناجى .

وأحب أن يراه من زاوية أخرى ، ويفكر فيه بمنطق مختلف !

القوة هي القانون السائد ..نعم .. هذا صحيح ، ولكننا تعودنا أن القوة دائماً تقهر الضعفاء وتسحق المظلومين ، أنها تقع دائماً في يد الظالم الذي لا يرعى الحقوق ، ولا يوفى العهود .

obeikandi.com

ولكنها أتت لي الآن، .. فلماذا لا أوجهها في اتجاه آخر .. اتجاه الحق والعدل، والرحمة، ونصرة المظلوم.

نعم .. أنا قادر أن أحول مؤشر القوة .. أكثر من حازم .. لو سنحت الفرصة له ما أمكنه أن يفعل ، ليس له نفوذ كنفوذ والدي ، وليس لديه مكانة داخل الكلية كمكانتي ، وليس له من الثراء ما يمكنه من مساعدة الآخرين مثلى ..

نعم .. هو ظلم ، ولكنها الفرصة التي ستتيح لي أن أقف بجانب المظلومين .

إذن .. الموقف ليس خطأ برمته .. هناك نقاط كثيرة تميل ناحية الصواب و .....

وظل شريف يحدث نفسه قرابة الساعة ، وبمرور الوقت أخذت أعصابه تهدأ شيئاً فشيئاً، وكأنه أعطى نفسه عقاراً مخدراً !!

وفى غمرة التخدير .. اتخذ القرار .. قرار البداية .

وفى صباح اليوم التالي ، كان شريف في قمة النشاط ، حتى إن والده كان ينظر إليه في دهشة ، وكأنه كان يحدث شخصاً آخر غير الذي كان يحدثه بالأمس ، ولكن ما لبثت أن زالت دهشته بسرعة ، فهو الذي يأمر فيطاع ، ويقول فيسمع الجميع ، مما دفعه أن يهتف بنشوة المنتصر :

أنا في طريقي إلى الكلية يا شريف ، هيا أوصلك بالسيارة .

وانطلقا معاً .. وبدأ الدكتور ناجى يشرح لشريف – خليفته في المستقبل – الطريقة التي سيتعامل بها مع الطلبة أثناء التدريس ، وأنه قد وصى عليه أمهر الأطباء في تخصصه ليتابعه في رسالة الماجستير و .....

وفجأة .. صاح شريف : احترس يا أبى .. احترس . وضغط الدكتور ناجى فرامل السيارة بقوة رهيبة ، أحدثت صوتاً مدوياً ، واندفع شريف إلى الأمام دفعة قوية لم يحمه من الاصطدام على أثرها بمقدمة السيارة ، إلا حزام الأمان . واندفع الاثنان خارج السيارة ، ناحية جسم صغير ارتمى أمامها ، وقد تجمع حوله عشرة أفراد على الأقل .

وبمجرد أن رأى الدكتور ناجى الشخص المصدوم في حالة طبيعية تقريباً ، حتى تنفس الصعداء وقال : الحمد لله .. لم يصب الولد بسوء .

openkandil.com

فلقد كان طفلاً صغيراً قد احتضنه والده في عنف وأخذ يتمتم بكلمات شكر وحمد لله، ورغم هول الولد الصغير ، إلا أنه كان يطبق على يده اليمنى إطباقاً شديداً ، واتجه الدكتور شريف نحو الأب والابن قائلاً في لهفة : حمداً لله على سلامتك يا حاج .. ولكن كيف تركته يجرى بهذه السرعة في هذا الطريق ؟ !

رد الرجل بطيبة بالغة : الحمد لله يا بني .. إن الله أنقذ ابني لأننا نراقبه ونخشاه في كل شيء ، ولا نقبل على أنفسنا قرشاً من الحرام ، إن لنا محل بقالة على الطريق ، وكان أحد الزبائن قد اشترى بعض المشتروات ، ثم انطلق مسرعاً ، وبعد مراجعة حسابه ، وجدت أن له خمسين قرشاً ، فطلبت من ابني الصغير أن يأخذ النقود ويذهب وراءه بسرعة قبل أن يغادر المكان ، وحدث ما حدث ولكن الحمد لله .. سترها الله معنا .

همس شريف متعجباً: كل ذلك من أجل نصف جنيه ؟؟ رد الرجل : يا بني .. أكل حق الناس حرام ، سواء كان قليلاً أم كثيراً .

هنا صاح الدكتور ناجى قائلاً :

هيا بنا يا شريف لقد تأخرنا. ثم دخلا السيارة وأطلق الدكتور ناجى صفيرها عدة مرات، وقال بصوت مرتفع:

بعد إذنكم يا جماعة: نريد أن ننطلق.

وانطلقت السيارة ..

وومضت الرسالة في رأس شريف .. ومضت وميضاً قوياً ، كشفت بها كل الحقائق ، وأزالت كل الغيوم ، ولم يعد هناك أي مجال للشك ، ولا للتردد .. وعندما وصلت السيارة باب الكلية ، قال الدكتور ناجى :

أرجو أن تكون قد اتخذت قرارك يا شريف ، وأن تنتبه لمستقبلك ، دون التفكير في أي شيء آخر .. نظر إليه شريف نظرة لم يفهمها قائلاً :

بالفعل يا أبى .. لقد اتخذت قراري .

وفى اليوم التالي .. ذاع الخبر في أنحاء الكلية فلقد رفض الدكتور شريف قبول التعيين بالجامعة دون رجعة ودون إبداء أسباب وثارت الدنيا حوله وثار أبوه بل ثار عليه بعض زملائه الجميع كان في ثورة .

إلا هو ..

كان هادئاً تماماً وارتاحت سريرته ، واستقر ضميره ، وابتعد عن الكلية بكل صراعاتها وأطماعها وأخبارها إلا خبراً واحد فقط .. نشرته جريدة معارضة أسبوعية :

فضيحة .. التحقيق مع دكتور شهير بقصر العيني تلاعب في نتائج الكنترول ،

وكان يبدو بعدها أن والده – أيضاً سيستريح ضميره تماماً..

وإلى الأبد !!

***

obeikandl.com

وأخيراً
القضية.. قضية مشرف

من المسئول عندما يعتري الضعف أي عمل جماعي .. القيادة أم الجنود؟

إن الإجابة المنصفة والمنطقية لابد أن تحمل المسئولية للقائد، فالقائد هو الذي يضع السياسة التي تحكم العمل ويوجه الجنود لكيفية تنفيذها، وهو المسئول عن كيفية بث روح الحماس في جنود المؤسسة وتفجير طاقاتهم واستغلال إمكاناتهم واكتشاف مواهبهم وتنميتها.

وعندما يضعف العمل التربوي فلابد أن تتجه أصابع الاتهام إلي المشرفين المسئولين عن العمل بالدرجة الأولى، فكلما كان الهيكل الإداري قويًا محكمًا تمكنا من تحقيق ما نصبو إليه، وعندما تتحدث عن خطط كبرى وأهداف طموحة ثم لا تجد من ينفذها، تبقى الخطط والأحلام حبرًا على ورق.

من الممكن أن تكتب أفكار عبقرية، وتسطر خططًا غاية في الروعة والإتقان، وتضع مناهج تربوية مشهود لها بالجدة والخبرة والابتكار، ثم تنظر فلا تجد مشرفًا قادراً على استيعاب هذه الأفكار، ولا كيفية تنفيذ هذه الخطط ولا استخدام هذه البرامج، ولا هو قادر على تطوير نفسه وتغيير أفكاره وتنمية مواهبه واستغلال قدرته.

إن القضية أولاً وأخيرًا هي قضية مشرف يعرف ماذا يريد وكيف يحقق ما يريد، وقابل للتطور والتغيير، وبقدر ما يهتم القائد بمشرفيه على قدر ما يجد ثمار ذلك وقد انعكست على العمل والعكس بالعكس.

obeikandl.com

أخي المشرف

إذا كان لديك..

١- مشكلة في وضع برنامج تريده أثناء عملك التنفيذي في مرحلة المراهقة.

٢- رأى فني في أي برنامج تم وضعه في هذا الدليل .

٣- فكرة جديدة تدعم بها الدليل وتساهم بها في تطويره في إصدارات أخرى.

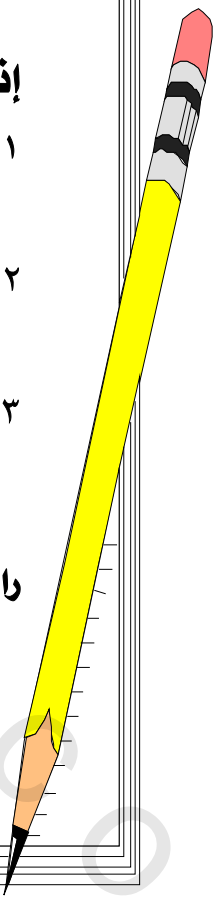

راسلنا..

على البريد الإلكتروني :

Ahmedsalah1000@hotmail.com

obeikandi.com

المراجع

* مراهقة بلا أزمة — د. أكرم رضا
* السلوك الاجتماعي في الإسلام — سعيد حوى
* رجال حول الرسول — خالد محمد خالد
* النية والإخلاص — د. يوسف القرضاوي
* فقه السيرة — د. محمد سعيد رمضان البوطي
* الرحيق المختوم — الشيخ صفي الدين المباركفوري

obeikandl.com